

حادثة تحريق المصاحف
الاعتراضات على عثمان ﷺ
والجواب عنها

الحمد لله رب العالمين ولصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل الأنبياء والمرسلين، وبعد فهذا بحث مختصر أرجو أن يكون كافيا في بيان حادثة تحريق المصاحف أو تخريقها وإيضاح أسباب ذلك مع بيان براءة سيدنا عثمان من مخالفة الأحكام ومما نسبه إليه الخوارج عليه.

جمع القرآن في زمن أبي بكر ﷺ

لما انتهت الخلافة إلى أبي بكر الصديق ﷺ ، وحصلت حروب الردة لأسبابها المعروفة، قاتل فيها المسلمون الأوائل من ارتد من العرب، واستشهد منهم الكثير، وكان منهم أعداد كبيرة من حفظة القرآن، وفي المعركة مع مسيلمة الكذاب استشهد منهم سبعون، وأنهى بعضهم العدد إلى خمسمائة، من أجلّهم سالم مولى أبي حذيفة. ولقد عزَّ الأمر على عمر ﷺ فدخل على أبي بكر، وأخبره الخبر، واقترح عليه أن يجمع القرآن خشية الضياع بموت الحفاظ وقتل القرآء، فتردد أبو بكر أول الأمر لأنه كان وقافا عند حدود ما كان عليه الرسول ﷺ، يخاف أن يجره التجديد إلى التبديل، أو يسوقه الإنشاء والاختراع إلى الوقوع في مهاوي الخروج والابتداع. ولكنه بعد مفاوضة بينه وبين عمر تجلى له وجه المصلحة، فاقتنع بصواب الفكرة وشرح الله لها صدره.وعلم أن ذلك الجمع الذي يشير به عمر ما هو إلا وسيلة من أعظم الوسائل النافعة إلى حفظ الكتاب الشريف، وأنه ليس من محدثات الأمور، ولا من البدع والإضافات الفاسقة، بل هو مستمد من القواعد التي وضعها الرسول ﷺ بتشريعه كتابة القرآن، واتخاذ كُتّابَ الوحي.



وجمع ما كتبوه عنده حتى مات صلوات الله وسلامه عليه[1].

روى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه في (بَاب قَوْلِهِ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ التوبة: من الرَّأفةِ)، عن الزُّهْرِيِّ قال أخبرني ابن السَّبَّاقِ أَنَّ زَيْدَ بن ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيَّ رضي الله عنه وكان مِمَّنْ يَكْتُبُ الْوَحْيَ قال أَرْسَلَ إلي أبو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ وَعِنْدَهُ عُمَرُ فقال أبو بَكْرٍ إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فقال إِنَّ الْقَتْلَ قد اسْتَحَرَّ يوم الْيَمَامَةِ بِالنَّاسِ وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ فِي الْمَوَاطِنِ فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ من الْقُرْآنِ إلا أَنْ تَجْمَعُوهُ وَإِنِّي لَأَرَى أَنْ تَجْمَعَ الْقُرْآنَ قال أبو بَكْرٍ قلت لِعُمَرَ كَيْفَ أَفْعَلُ شيئا لم يَفْعَلْهُ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فقال عُمَرُ هو والله خَيْرٌ فلم يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي فيه حتى شَرَحَ الله لِذَلِكَ صَدْرِي وَرَأَيْتُ الذي رَأَى عُمَرُ قال زَيْدُ بن ثَابِتٍ وَعُمَرُ عِنْدَهُ جَالِسٌ لَا يَتَكَلَّمُ فقال أبو بَكْرٍ إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ ولا نَتَّهِمُكَ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَتَتَبَّعْ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ فَوَاللَّهِ لو كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ من الْجِبَالِ ما كان أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ من جَمْعِ الْقُرْآنِ قلت كَيْفَ تَفْعَلَانِ شيئا لم يَفْعَلْهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بَكْرٍ هو والله خَيْرٌ فلم أَزَلْ أُرَاجِعُهُ حتى شَرَحَ الله صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ الله له صَدْرَ أبي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقُمْتُ فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ من الرِّقَاعِ وَالْأَكْتَافِ وَالْعُسُبِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ حتى وَجَدْتُ من سُورَةِ التَّوْبَةِ آيَتَيْنِ مع خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ لم أَجِدْهُمَا مع أَحَدٍ غَيْرِهِ لقد جَاءَكُمْ رَسُولٌ من أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عليه ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ إلى آخرهما وَكَانَتْ الصُّحُفُ التي جُمِعَ فيها الْقُرْآنُ عِنْدَ أبي بَكْرٍ حتى تَوَفَّاهُ الله ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حتى تَوَفَّاهُ الله ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ تَابَعَهُ عُثْمَانُ بن عُمَرَ وَاللَّيْثُ عن يُونُسَ عن بن شِهَابٍ وقال اللَّيْثُ حدثني عبد الرحمن بن خَالِدٍ عن بن شِهَابٍ وقال مع أبي خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ وقال مُوسَى عن إبراهيم حدثنا بن شِهَابٍ مع أبي خُزَيْمَةَ وَتَابَعَهُ يَعْقُوبُ بن إبراهيم عن أبيه وقال أبو ثَابِتٍ حدثنا إِبْرَاهِيمُ وقال مع خُزَيْمَةَ أو أبي خُزَيْمَةَ.

---

(1) من كتاب مناهل العرفان، للشيخ العلامة محمد عبد العظيم الزرقاني، ((١/٢٤٢).طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.



أسباب نسخ القرآن على عهد عثمان ﷺ

اتسعت الفتوحات في زمن عثمان واستبحر العمران، وتفرق المسلمون في الأمصار والأقطار، ونبتت ناشئة جديدة كانت بحاجة إلى دراسة القرآن، وطال عهد الناس بالرسول والوحي والتتريل، وكان أهل كل إقليم من أقاليم الإسلام يأخذون بقراءة من اشتهر بينهم من الصحابة، فأهل الشام يقرءون بقراءة أبي بن كعب، وأهل الكوفة يقرءون بقراءة عبدالله بن مسعود، وغيرهم يقرأ بقراءة أبي موسى الأشعري، فكان بينهم اختلاف في حروف الأداء ووجوه القراءة، بطريقة فتحت الشقاق والتراع في قراءة القرآن، أشبه بما كان بين الصحابة قبل أن يعلموا أن القرآن نزل على سبعة أحرف، بل كان هذا الشقاق أشد، لبعد عهد هؤلاء بالنبوة، وعدم وجود الرسول ﷺ بينهم، وكادت تكون فتنة[1].

روى صاحب كتاب المصاحف (٩٥/١) عن أبي قلابة قال لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل والمعلم يعلم قراءة الرجل فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين قال أيوب لا أعلمه إلا قال حتى كفر بعضهم بقراءة بعض فبلغ ذلك عثمان فقام خطيباً فقال أنتم عندي تختلفون فيه فتلحنون فمن نأى عني من الأمصار أشد فيه اختلافا وأشد لحناً اجتمعوا يا أصحاب محمد واكتبوا للناس إماما.

وذكر ابن حجر في فتح الباري (١٨/٩) روايات عن ابن أبي داود :" عن إبراهيم بن سعد عن أبيه فيتنازعون في القرآن حتى سمع حذيفة من اختلافهم ما ذعره وفي رواية يونس فتذاكروا القرآن فاختلفوا فيه حتى كاد يكون بينهم فتنة.

وفي رواية عمارة بن غزية أن حذيفة قدم من غزوة فلم يدخل بيته حتى أتى عثمان فقال يا أمير المؤمنين أدرك الناس قال وما ذاك قال غزوت فرج أرمينية فإذا أهل الشام يقرؤون بقراءة أبي بن كعب فيأتون بما لم يسمع أهل العراق وإذا أهل العراق يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود فيأتون بما لم يسمع أهل الشام فيكفر بعضهم بعضا.

وأخرج بن أبي داود أيضا من طريق يزيد بن معاوية النخعي قال إني لفي المسجد زمن الوليد بن عقبة في حلقة فيها حذيفة فسمع رجلا يقول قراءة عبد الله بن مسعود وسمع آخر يقول

---

(1) عن مناهل العرفان بتصرف، ر (٢٤٨/١).



قراءة أبي موسى الأشعري فغضب ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال هكذا كان من قبلكم اختلفوا والله لأركبن إلى أمير المؤمنين ومن طريق أخرى عنه أن اثنين اختلفا في آية من سورة البقرة قرأ هذا وأتموا الحج والعمرة لله وقرأ هذا وأتموا الحج والعمرة للبيت فغضب حذيفة واحمرت عيناه ومن طريق أبي الشعثاء قال قال حذيفة يقول أهل الكوفة قراءة بن مسعود ويقول أهل البصرة قراءة أبي موسى والله لئن قسمت على أمير المؤمنين لآمرنه أن يجعلها قراءة واحدة ومن طريق أخرى أن بن مسعود قال لحذيفة بلغني عنك كذا قال نعم كرهت أن يقال قراءة فلان وقراءة فلان فيختلفون كما اختلف أهل الكتاب."اهـ .

وقال الزرقاني[1]:" أضف إلى ذلك أن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم لم تكن معروفة لأهل تلك الأمصار، ولم يكن من السهل عليهم أن يعرفوها كلها، حتى يتحاكموا إليها فيما يختلفون، إنما كان كل صحابي في إقليم، يقرئهم بما يعرف فقط من الحروف التي نزل عليها القرآن، ولم يكن بين أيديهم مصحف جامع يرجعون إليه فيما شجر بينهم من هذا الخلاف والشقاق البعيد.

لهذه الأسباب والأحداث، رأى عثمان بثاقب رأيه، وصادق نظره، أن يتدارك الخرق قبل أن يتسع، وأن يستأصل الرقع قبل أن يعزَّ الدواء، فجمع أعلام الصحابة، وذوي البصر منهم، وأجال الرأي بينهم في علاج هذه الفتنة، ووضع حدٍّ لذلك الاختلاف، وحسم مادة النزاع، فأجمعوا أمرهم على استنساخ مصاحف يرسل منها إلى الأقطار، وأن يؤمر الناس بإحراق كل ما عداها، وألا يعتمدوا سواها.."اهـ .

الدفاع عن عثمان ﷺ

إن الناس الذين قاموا على عثمان ﷺ اعترضوا عليه في أمر المصاحف، وازعموا أنه حرق المصاحف، وقاوموه على ذلك، واعتراضاتهم عليه في ذلك مردودة بما يقرب من البداهة، بل الناظر في أقوالهم إن لم يقتنع بجهلهم المحض، وعصبيتهم، فإنه يجزم بان لهم دافعا تهديميا من وراء ما قاموا به من فتنة.

فالصحابة وافقوا عثمان ﷺ على فعله

(1) مناهل العرفان،(١/٢٤٩). مصدر سابق.



١- خلاصة ما فعله عثمان ﷺ

قال الإمام البخاري(1) في صحيحه برقم [٤٩٨٧]

"٤٧٠٢ حدثنا مُوسَى حدثنا إِبْرَاهِيمُ حدثنا بن شِهَابٍ أَنَّ أَنَسَ بن مَالِكٍ حدثه أَنَّ حُذَيْفَةَ بن الْيَمَانِ قَدِمَ على عُثْمَانَ وكان يُغَازِي أَهْلَ الشَّامِ في فَتْحِ إِرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مع أَهْلِ الْعِرَاقِ فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلَافُهُمْ في الْقِرَاءَةِ فقال حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَدْرِكْ هذه الْأُمَّةَ قبل أَنْ يَخْتَلِفُوا في الْكِتَابِ اخْتِلَافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إلى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا في الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ فَأَرْسَلَتْ بها حَفْصَةُ إلى عُثْمَانَ فَأَمَرَ زَيْدَ بن ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بن الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بن الْعَاصِ وَعَبْدَ الرحمن بن الْحَارِثِ بن هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا في الْمَصَاحِفِ وقال عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ إذا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بن ثَابِتٍ في شَيْءٍ من الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا حتى إذا نَسَخُوا الصُّحُفَ في الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إلى حَفْصَةَ وَأَرْسَلَ إلى كل أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا **وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ من الْقُرْآنِ في كل صَحِيفَةٍ أو مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ**."اهـ .

قال الإمام ابن حجر العسقلاني(2): "قوله وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق في رواية الأكثر أن يخرق بالخاء المعجمة وللمروزي بالمهملة ورواه الأصيلي بالوجهين والمعجمة أثبت وفي رواية الإسماعيلي أن تمحي أو تحرق."اهـ .

٢- توضيح الأسس التي اعتمد عليها عثمان ﷺ

قال الإمام القرطبي في التفسير (٥٢/١):"وقد روى سويد بن غفلة عن علي بن أبي طالب أن عثمان قال:ما ترون في المصاحف؟ فإن الناس قد اختلفوا في القراءة حتى إن الرجل ليقول قراءتي خير من قراءتك وقراءتي أفضل من قراءتك وهذا شبيه بالكفر.

قلنا: ما الرأي عندك يا أمير المؤمنين. قال: الرأي عندي أن يجتمع الناس على قراءة، فإنكم إذا اختلفتم اليوم كان من بعدكم أشد اختلافا. قلنا: الرأي رأيك يا أمير المؤمنين.

(1) صحيح الإمام البخاري كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن. ص٦٠٧. طبعة دار ابن الهيثم.

(2) فتح الباري، (٢٠/٩).



فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها إليه فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاصي وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف.

وقال عثمان للرهط القرشيين: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم. ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، **وأمر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.**

وكان هذا من عثمان رضي الله عنه بعد أن جمع المهاجرين والأنصار وجلة أهل الإسلام وشاورهم في ذلك فاتفقوا على جمعه بما صح وثبت في القراءات المشهورة عن النبي صلى الله عليه وسلم واطراح ما سواها واستصوبوا رأيه وكان رأيا سديدا موفقا رحمة الله عليه وعليهم أجمعين.

وقال الطبري فيما روي أن عثمان قرن بزيد أبان بن سعيد بن العاص وحده وهذا ضعيف وما ذكره البخاري والترمذي وغيرهما أصح وقال الطبري أيضا إن الصحف التي كانت عند حفصة جعلت إماما في هذا الجمع الأخير وهذا صحيح."اهـ .

قال الإمام الزركشي[1] وذلك بعد أن ذكر قصة نسخ القرآن:"**وفي هذه إثبات ظاهر أنَّ الصحابة جمعوا بين الدفتين القرآن المنزل من غير زيادة ولا نقص،** والذي حملهم على جمعه ما جاء في الحديث أنه كان مفرقا في العسب واللخاف وصدور الرجال فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته وكتبوه كما سمعوه من النبي ﷺ من غير أن قدموا شيئا أو أخروا وهذا الترتيب كان منه ﷺ بتوقيف لهم على ذلك وأن هذه الآية عقب تلك الآية.

فثبت أن سعي الصحابة في جمعه في موضع واحد لا في ترتيب فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب الذي هو في مصاحفنا الآن أنزله الله جملة واحدة إلى سماء الدنيا."اهـ .

---

(1) البرهان في علوم القرآن، (١/٢٣٦).



ذكر صاحب كتر العمال[1](٢/٢٤٦) : برقم[٤٧٧٣]عن مصعب بن سعد قال أدرك ـت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك و لم ينكر ذلك منهم أحد.

وذكر أيضا برقم [٤٧٧٤] عن عبد الرحمن بن مهدي قال خصلتان لعثمان بن عفان ليستا لأبي بكر ولا لعمر صبره نفسه حتى قتل وجمعه الناس على المصحف[٢].

فالصحابة كانوا مجمعين على هذا الأمر إذن، ولم يفعله عثمان ﷺ من رأيه المجرد، فضلا عن أنه كان مصيبا في ذلك، وأنه أمر لا يعاب عليه عثمان ﷺ بل يحمد ويوقر على أن قام به.

وقال الإمام السيوطي في الإتقان[٣](١/١٩١):"قال ابن حجر: وك ـان ذل ـك [أي جم ـع القرآن] في سنة خمس وعشرين. قال: وغفل بعض من أدركناه فزعم أنه كان في حدود سنة ثلاثين، ولم يذكر له مستنداً."اهـ .

وقال السيوطي في الإتقان أيضا[4] :"وقال القاضي أبو كبر في الانتصار: لم يقصد عثمان قصدَ أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي ﷺ وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أثبِتَ مع تتريل، ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه، ومفروض قراءته وحفظه، خشية دخول الفساد والشبهة."اهـ .

---

(1) قال :"رواه البخاري في خلق أفعال العباد وابن أبي داود وابن الأنباري في المصاحف."اهـ .

كتر العمال في سنن الأقوال والأفعال، تأليف: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٩هـ -١٩٩٨م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمود عمر الدمياطي

(2) رواه ابن أبي داود وأبو الشيخ في السنة.

(3) الإتقان في علوم القرآن، دار الحديث.

(4) مرجع سابق.



٣- اعتراضات الخارجين على عثمان ﷺ

قال ابن كثير في تاريخه[1](١٧١/٧): "فانطلق علي بن أبي طالب إليهم وهم بالجحفة وكانوا يعظمونه ويبالغون في أمره فردهم وأنّبهم وشتمهم فرجعوا على أنفسهم بالملامة وقالوا هذا الذي تحاربون الأمير بسببه وتحتجون عليه به ويقال انه ناظرهم في عثمان وسألهم ماذا ينقمون عليه فذكروا أشياء منها انه حمى الحمى **وحرق المصاحف** وانه أتم الصلاة وانه أولى الأحداث الولايات وترك الصحابة الأكابر وأعطى بني أمية أكثر من الناس."اهـ .

وقال في كتاب مقتل الشهيد عثمان[2] (١٨٤/١):"فأما أصناف الخوارج والزيدية فإنهم ينكرون أمر أبي بكر وعمر رض ويبرئونه منهما ويثبتون قتل عثمان رض عليه ويصححونه ويقولون نحن كنا أعوانه على قتله عثمان رض وإخوانه ويتقلدون دمه ويجعلونه أفضل أعمالهم وأعماله وقالوا لو لم يقتله لغلب الدين وذهب الإسلام وقالوا هذا بعد **تحريق المصاحف** وتمزيقها وبعد تعطيل الحدود والأحكام التي في القرآن والحمى والقطائع والجوائز وإيواء الطريد وأخذ الفيء وأكله ومنع المهاجرين والأنصار حقوقهم وتفرقهم خاصة وقتل الرجال وتسيير الصحابة من ديارهم شيء يخاف منه على الإسلام."اهـ .

٤- الرد على اعتراضاتهم

إن من عرف الدافع الذي دفع الصحابة وفيهم عثمان ﷺ إلى ما فعلوه، فإنه قادر بمجرد هذه المعلومات على الرد على المخالفين والمعترضين على عثمان ﷺ، ولكنا سنورد هنا من كلام الأئمة والعلماء ما به تندفع الشبهة، وتتضح الحجة.

أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٤٥/٣٩) بسنده :"عن سويد بن غفلة قال قال علي يا أيها الناس **إياكم والغلو في عثمان تقولون حرق المصاحف والله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب محمد ﷺ ولو وليت مثل ما ولي لفعلت مثل الذي فعل**."اهـ .

---

(1) البداية والنهاية، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، دار النشر: مكتبة المعارف – بيروت.

(2) التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، تأليف: محمد بن يحيى بن أبي بكر المالقي الأندلسي، دار النشر: دار الثقافة – الدوحة – قطر – ١٤٠٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمود يوسف زايد.

وقال ابن كثير في البداية والنهاية[1](٢١٨/٧): " ثم عمد إلى بقية المصاحف التي بأيدي الناس مما يخالف ما كتبه فحرقه لئلا يقع بسببه اختلاف.

فقال أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف حدثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن قالا ثنا شعبة عن علقمة بن مرثد عن رجل عن سويد بن غفلة قال قال لي علي حين حرق عثمان المصاحف لو لم يصنعه هو لصنعته.

وهكذا رواه أبو داود الطيالسي وعمرو بن مرزوق عن شعبة مثله وقد رواه البيهقي وغيره من حديث محمد بن أبان زوج أخت حسين عن علقمة بن مرثد قال سمعت العيزار بن جرول سمعت سويد بن غفلة قال قال علي أيها الناس إياكم والغلو في عثمان تقولون حرق المصاحف والله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب محمد ﷺ ولو وليت مثل ما ولي لفعلت مثل الذي فعل."اهـ .

وقال الإمام ابو بكر الباقلاني في تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل[2](٥٣٤/١):"وأما قولهم إنه حرق المصاحف فإنه غير ثابت[3] ولا مما يلزم قلوبنا العلم به ولو ثبت لوجب أن يحمل على أنه حرق مصاحف قد أودعت ما لا تحل قراءته وقد خرج عن أن يكون قرآنا بإفساد نظمه وإحالة معناه في الجملة فإنه إمام من أهل العلم غير معاند للنبي ﷺ ولا طاعن على التنزيل.

هذا هو المعلوم من أمره فيجب أن يكون حرق ما يجب إحراقه.

ولذلك ما لم يرو عن أحد من الصحابة أنه قال له قد عصيت الله وأذللت الدين بإحراق مصاحف لا يحل إحراقها.

وقد شاهد القوم من ذلك وعرفوا ما ذهب علينا معرفة كنهه وقد ثبتت عدالة عثمان وطهارته فلا متعلق في ذلك."اهـ .

---

(1) مرجع سابق.

(2) تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، تأليف: محمد بن الطيب الباقلاني، دار النشر: مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان – ١٤٠٧هـ . – ١٩٨٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر.

(3) قد بينا فيما سبق أنه ثابت.



وقال الإمام ابن العربي في العواصم من القواصم[1]:"وأما جمع القرآن فتلك حسنته العظمى، وخصلته الكبرى، وإن كان وجدها كاملة لكنه أظهرها وردَّ الناس إليها، وحسم مادة الخلاف فيها، وكان نفوذ وعد الله بحفظ القرآن على يديه حسبما بيناه في كتاب القرآن وغيره."اهـ .

وقال أيضاً[2]:"وأما ما روي أنه حرقها أو خرقها-بالحاء المهملة أو بالخاء المعجمة[3]، وكلاهما جائز إذا كان في بقائها فساد، أو كان فيها ما ليس من القرآن، أو ما نسخ منه، أو على غير نظمه، وقد سلم في ذلك الصحابة كلهم."اهـ .

موقف عبد الله بن مسعود ﵁

روي عن ابن مسعود ﵁ أنه رفض أول الأمر ما فعله عثمان بن عفان ﵁، بحجة أنه إنما يقرأ ما أخذه عن النبي ﷺ وأن من ولاه عثمان ﵁ على جمع القرآن كان صبيا له ذؤابة كان يلعب مع الصبيان. ولكنه بعد ذلك رجع عن موقفه ووافق الجماعة.

قال الإمام ابن العربي[4]:" قال الزهري فأخبرني عبد الله بن عبد الله بن عتبة أن عبد الله بن مسعود كره لزيد بن ثابت نسخ المصاحف وقال: يا معشر المسلمين أُعْزَلُ عن نسخ كتابة المصاحف ويتولاها رجل؛ والله لقد أسلمت وإنه لفي صلب رجل كافر، يريد زيد بن ثابت. ولذلك قال عبد الله بن مسعود يا أهل القرآن اكتموا المصاحف التي عندكم وغلوها فإن الله يقول ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ﴾ آل عمران: ١٦١ غل يوم القيامة فالقوا الله بالمصاحف."اهـ .

قال ابن كثير[1](٢١٨/٧):"[موقف ابن مسعود ورجوعه عنه][2]

---

(1) العواصم من القواصم، مع تعليقات محب الدين الخطيب. ص٦٧ طبعة مكتبة السنة.

(2) العواصم من القواصم، مرجع سابق، وذكر الإمام ابن العربي بعد ذلك موقف ابن مسعود ﵁، وقد ذكرناه عن ابن كثير وأنه رجع.

(3) قال ابن أبي داود في كتاب المصاحف (٨٨/١):"بعث عثمان إلى كل أفق بمصحف من تلك المصاحف التي نسخوا وأمر بسوى ذلك في صحيفة أو مصحف أن يحرق وقال غيره يخرق."اهـ .

(4) أحكام القرآن (٦٠٨/٢).



وقد روى عن ابن مسعود أنه تعتب لما أخذ منه مصحفه فحرق وتكلم في تقدم إسلامه على زيد بن ثابت الذي كتب المصاحف وأمر أصحابه أن يغلوا مصاحفهم وتلا قوله تعالى ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ﴾ فكتب إليه عثمان رضي الله عنه يدعوه إلى اتباع الصحابة فيما أجمعوا عليه من المصلحة ذلك وجمع الكلمة وعدم الاختلاف فأناب وأجاب إلى المتابعة وترك المخالفة رضي الله عنهم أجمعين."اهـ .

اعتراضات على صنيع عثمان ﷺ وردُّها

لن نجد اعتراضا على هذه القضية إلا متكلفا باردا لا قيمة له في موازين النظر العلمي.

قال الإمام الباقلاني في نكت الانتصار[3]:"فإن قالوا كيف تدعون الإجماع على مصحف عثمان ﷺوابن مسعود على جلالته وتقدمه يخالفه؟

يقال لهم: القائلون بفضل ابن مسعود يكذبون جميع ما روي عنه في هذا الباب، فأما الرافضة فإنها تلعنه وتبرأ منه لأمور، أحدها أنه من شيعة أبي بكر وعمر، ولأنهم معتقدون أنه كان خطابيا يعتقد بتفضيل عمر وعثمان ويكثر التوجع والتحزُّنَ على عمر، فكيف يحتجون به مع هذا الاعتقاد فيه؟ ونحن أولى به منهم، لأنه عندنا ممن يعتقد بخلافه ولا ينعقد إجماع هو مخالف له، وهو عندنا قائل بتصويب عثمان، وإن كان قد امتنع عن تسليم مصحفه، وكره تولية زيد وعزْلَهُ هو عنه. وقد روى ثعلبة بن مالك قال قال عثمان من يعذرني من ابن مسعود، يدعو الناس إلى الخلاف والشبهة والتعصب عليَّ إذ لم أُوْلِه نسخَ القرآنَ، فهلا عتب على أبي بكر وعمر، وهما عزلاه عن نسخ القرآن، ووليّاه زيد ابن ثابت، واتبعت أثرهما فيها بقي من أصحاب النبي ﷺ ، [وما هذا الكلام][4] إلا من حسن قول عثمان ﷺ مع ابن مسعود.

---

(1) مرجع سابق.

(2) هذا العنوان زدته للبيان.

(3) نكت الانتصار لأبي بكر الصيرفي، ص٣٦٣. وهو اختصار كتاب الانتصار للإمام أبي بكر الباقلاني رحمه الله تعالى.

(4) قدرناه لتوضيح المعنى.



وروى أن حذيفة قال لابن مسعود ادفع إليهم هذا المصحف، قال والله لا أدفعه إليهم أقرأني رسولُ الله بضعا وسبعين سورة ثم أدفعه إليهم، والله لا أفعل.

وليس في هذه الرواية أكثر من الامتناع من دفع المصحف، فأما ما روي من تركه القـ ـراءة بحرف زيد فكثير جدا. وروي أنه قام خطيبا فقال: على قراءة من تأمروني أن أقرأ أعلى قراءة زيد فوالله الذي لا إله إلا هو لقد أخذت من رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة وزيد بـ ـن ثابت له ذؤابتان يلعب مع الصبيان، وفي رواية أخرى لغلام في الكتاب.

وروي أنه قال والله ما نزلت في القرآن آية إلا أعلم بها وأعلم بها وأعلم فيم نزلت ثم قـ ـال: والله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله لأتيته.

وأما كراته لتولية زيد وعزله فقد ذكرنا منه طرفا، وليست شهادة عبدالله لِحَرْفِهِ وأنه أخـ ـذه من فم الرسول ﷺ طعنا على حرف غيره، ولكنه عنده حجة في أنه لا يجب عليـ ـه تركـ ـه وتحريق مصحف هو فيه.

وقوله لو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله ....الحديث ليس قطعا على أنه لا يجوز أن يكون فيهم من هو أعلم منه بكتاب الله، لأن هذا الاعتقاد هو غير معـ ـصوم فيـ ـه، وقـ ـد وردت الروايات أن عثمان وعظه وحذره الفُرْقة، فرجع واستجاب إلى الجماعة وحثَّ أصحابه على ذلك، فروي عنه في حديث طويل أنه قال فمن قرأ عليَّ قراءتي فلا يدعها رغبة عنها، ومـ ـن قرأ علي شيئا من هذه الحروف فلا يدعَنْهُ رغبةً عنه، فإنه من جحد بحرف منه فقد جحـ ـده كله. "اهـ .

وقال الإمام الباقلاني في نكت الانتصار في وجه اختيار عثمان رضي الله عنه زيدَ بن ثابت رضي الله عنه دون ابن مسعود رضي الله عنه:" قالوا : كيف استجاز عثمان رضي الله عنه تقديم زيد بن ثابت على ابن مسعود، مع ما رأيتموه من مدح النبي ﷺ وقوله فيه: رضيت لأمتي ما رضيَ ابن أمِّ عبد، وكرهت لها مـ ـا كرهه لها. وإن أول من جهر بقراءة القرآن بمكة ولقي في الله ﷻ بها جهدا جهيدا، وشـ ـهد بدرا، وجميع مغازي النبي ﷺ، وبيعة الرضوان وهو احتزَّ رأس أبي جهل بن هشام، ولما نظـ ـر المسلمون إلى ساقيه ورقَّتهما قال النبي ﷺ: لهما أثقل في الميزان من جبل أحد. وقال لو كنت مستخلفا أحدا من أمتي لاستخلفت ابن أم عبد. وكان مع النبي ﷺ ليلة الجن، وقال فيه عمر

بن الخطاب إنه أقرأ قُرَّاء الله، إنا نُحجَبُ ويؤذن له، وإنا كنَّا لنَغيبُ ويحضُرُ، وكان صاحب سرِّ النبي ﷺ ومسح رأسه وقال: إنك عليم معلم، إلى غير ذلك مما يطول ذكره.

وزيد بن ثابت حديث السنِّ لا تبلغ رتبته إلى رتبة عبدالله.

يقال لهم: بعد تسليم جميع فضائله قد ثبت أن عثمان ﷺأفضل منه، وأعرف بتدبير الأمة، وأن جهاده وإنفاقه أعظم منه، وقول الرسول ﷺ فيه أكثر، ولما نصب زيدا كان إمام الأمة غير المتهم، وكان زيد بالمحل الشريف في حفظ القرآن وأحكام الدين، وحسن الخط والضبط، وكان من خواص النبي ﷺوأطبق الجماعة على فضله، على حداثة سنه، ولم يُنقَم على من سبق عثمان اختيارهم له، مع جواز أن يكون اختياره لأنه وافقه على ما أراده.

فإن قيل: لو اختار ابنَ مسعود لزالت منافرته.

قلنا: هذا يستلزم نسبة ضعف الدين إليه، لأنه لو علم أن ما فعله عثمان ﷺ هو الصلاح وفرضنا أنه تركه، فقد أعطى الدنية في دينه، وصار من أبناء الدنيا، وهو يجلُّ عن هذا.

ويمكن أن يكون عثمان قد علم أن زيدا يرضى أن يضم إليه غيره ويرضى ما يقوله القرشيون دون ما يقوله هو نحو (التابوت)، وأن ابن مسعود لا يدخل تحت ذلك ولا يرجع إلى قول غيره.

ثم يقال للمعترض: إنما قصدت تخطئة عثمان ﷺوذلك مردود ولا يلتفت إليه، بل هو خطأ وضلال.

وإنما يختار من أراد ضبط المصحف أحسنهم خطا وضبطا وأحضرهم فهما دون من كان أقدم أهل عصره حفظا وأفهمهم وأشجعهم.

وقد قال الرسول ﷺ: من سره أن يقرأ القرآن غضا فليقرأه بقراءة زيد، وهذا كالذي قاله في ابن مسعود.

وروي عن زيد أنه قال قال لي النبي ﷺ أتحسن السريانية. قلت: لا. قال لي فتعلمها. فتعلمتها في سبعة عشر يوما.

وعنه عن أبيه أنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أتاني فقال: يا رسول الله غلام بني النجار قد قرأ ستَّ عشرة سورة، فأمره رسول الله ﷺ أن يتعلم كتاب اليهود، وقال: إني لا آمنهم أن يبدلوا كتابي. فتعلمته في بضعِ عشرةَ يوما.



ثم مضى رسول الله ﷺ، فلحق زيد درجة الأكابر وكان يفتي مع الصحابة. "[1]اهـ .

ومما اعترض به على ما فعله عثمان ﷺ ما قاله بعض الشيعة[2]:" **أن الإجماع لم يتحقق بمخالفة عبد الله بن مسعود ومن معه من أهل الكوفة حيث عارضوا تحريق عثمان للمصاحف وإلغائه أضعاف القرآن ، فقد كان يأمرهم ابن مسعود ليغلّوا المصاحف ولا يعطوها لجلاوزة عثمان فيحرقها ، وليلقوا الله بها يوم القيامة ، ناهيك عن أن رواياتهم تنص أن ابن مسعود هو مرجع الصحابة في القرآن بتعيين من رسول الله.**"اهـ .

والجواب: إنما خالف ابن مسعود أول الأمر، ثم وافق الجماعة بعد ذلك، فكان الإجماع بعد الاختلاف، وهو حجة.

وأما ما زعمه من أن ما ألغاه عثمان أضعاف القرآن، فإنما هو وهم لا دليل عليه إلا محض تخرصات من الشيعة الإمامية ومن وافقهم.

قال القاضي أبو بكر الباقلاني في نكت الانتصار تأليف أبي بكر الصيرفي ص٤٢٢:"**فاعلموا رحمكم الله أن الذي يجرد القول بأن القرآن نقص منه وزيد فيه وغُيِّرَ وبُدِّلَ الرافضةُ دون غيرها**."اهـ .

وقال الإمام الباقلاني أيضا[3]:"**وشيء آخر وهو أن نقول: إن الله تعالى افترض على الأمة أن تؤدي جميع القرآن كما أنزل، ولم يفسَح في نقل شيء منه على المعنى، فمتى قلنا إن الأمة ذهبت عن حفظ كلمة منه قلنا بتضييعها، وذلك باطل**."اهـ .

وقال ذلك الشيعي الرافضي أيضا[4]:" **من قال إن إجماع الصحابة يصحح حذف قرآن أنزله الله عز وجل ؟! وإلا فما معنى أمر النبي لهم بالتمسك بالقران ؟!**"اهـ .

والجواب: إن الصحابة لم يحذفوا شيئا من القرآن، إنما جمعوا ما كان متفرقا على عهد أبي بكر ﷺ، ثم نسخوه على وجه واحد على عهد عثمان ﷺ. وحرقوا ما بقي من المصحف

---

(1) عن كتاب : نكت الانتصار لأبي بكر الصيرفي. ص٣٦٩: بتصرف. مرجع سابق.

(2) كتاب الإتقان في تحريف القرآن، موقع إسلاميات دوت كوم.

(3) نكت الانتصار، لأبي بكر الصيرفي، ص٤٢٢، طبعة منشأة المعارف بالإسكندرية.

(4) من الموقع المشار إليه أيضا.



التي تخالف ما اجتمعوا عليه مما كان فيها بالإضافة إلى القرآن ما يكتبه الصحابة مما سمعوه من تفسير النبي ﷺ وغيره، وذلك لئلا يختلط القرآن بغيره، ولئلا يزداد الخلاف بتراكم الأزمان.

وقال ذلك الرافضي أيضا[١]:" **ان كان خرق وحرق القران هو افضل الحلول لهذه المشكلة، لكان من الأولى ان يحرق النبي القران بنفسه ، آو ان يبطل هذه التوسعة في قراءة القران . لكنه اقرها لدرجة انه كان يضرب في صدر عمر وآبي بن كعب حين استصعب عليهم التسليم بهذه الاختلافات في قراءات القران.**

ترى هل كان عثمان احرص من النبي على الأمة ؟ هل إجماع الأمة لا يتم آلا بخرق وحرق القران وإلغاء التوسعة النبوية في قراءة القران على سبعة أحرف ؟"اهـ .

والجواب: أنا لا نسلم أن المصاحف التي حرقها عثمان ﷺ كانت قد كتبت في زمن الرسول ﷺ، لم لا يكون الصحابة قد كتبوها باجتهادات شخصية منهم كل واحد بحسب علمه معرفته بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام، ولذلك احتاج الصحابة أجمعون إلى مرجع يوافق عليه الجميع.

وأما ما كان في زمن النبي ﷺ من اختلاف الصحابة كحادثة عمر وأبي ﷺ فلا نسلم أنها كانت خارجة عما كتبه الصحابة في المصحف الجامع العثماني، وما الدليل على أنها قد خرجت منه و لم يلتفت إليها الصحابة. و لم لا تكون من قبيل الاختلاف الموجود الآن بين القراءات المتواترة؟؟

نقل الإجماع على صحة فعل عثمان ﷺ

نقل الإمام السبكي الإجماع على ما فعله عثمان ﷺ ، فقال في فتاويه[٢] (٢/٤٤٢) :"أما الإجماع فإجماع الصحابة مع عثمان رضي الله عنهم على تحريق المصاحف الباطلة لما فيها من زيادة أو نقص على المصحف المجمع عليه فإذا جاز تحريق الكتاب لباطل فيه فالكتابة عليه بالإبطال أولى."اهـ .

---

(1) الموقع السابق.

(2) ونقل هذا عنه رحمه الله ابنه العلامة تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (١٠/٢٩٠).



وقد سبق ذكر الروايات على أن الصحابة كانوا متوافرين عندما فعل عثمان ﵁ ذلك، ولم يعترض أحد، بل إنهم وافقوه ومشوا معه فيه.

والحمد لله رب العالمين

كتبه

سعيد فودة

وليس لنا إلى غير الله تعالى حاجة ولا مذهب